تفسير النكت والعيون

قاضي علي ابن حبيب الماوردي (ت 450 هـ)

صاحب تفسير، الحاوي، و الاحكام السلطانيه

تفسير سورة البقرة

آيات 1 الي 39

2 Surah AlBaqarah verses 1 to 39

Tafsir An Nukkat wal ‘Uyoon

Ali bin Habib Almaawardi 450 Hijri

Prepared for easy on-line-reading and retrieval for research purposes

By Muhammad Umar Chand

Chand786@xtra.co.nz

May 19, 2013

تفسير{ الٓمٓ }1

قوله عز وجل: { الم } اختلف فيه المفسرون على ثمانية أقاويل:

- **أحدها: أنه اسم من أسماء القرآن كالفرقان والذكر، وهو قوله قتادة وابن جريج.**
- **والثاني: أنه من أسماء السور، وهو قول زيد ابن أسلم.**
- **والثالث: أنه اسم الله الأعظم، وهو قول السدي والشعبي.**
- **والرابع: أنه قسم أقسم الله تعالى به، وهو من أسمائه، وبه قال ابن عباس وعكرمة.**
- **والخامس: أنها حروف مقطعة من أسماء وأفعال،**
  - فالألف من أنا
  - واللام من الله،
  - والميم من أعلم،

فكان معنى ذلك: أنا الله أعلم، وهذا قول ابن مسعود وسعيد بن جبير، ونحوه عن ابن عباس أيضاً.

- **والسادس: أنها حروف يشتمل كل حرف منها على معانٍ مختلفة،**
  - فالألف مفتاح اسمه الله،
  - واللام مفتاح اسمه لطيف،
  - والميم مفتاح اسمه مجيد،
  - والألف آلاء الله،
  - والميم مجدُه،
- والألِفُ سَنَةٌ،
- واللامُ ثلاثون سنة،
- والميم أربعون سنة،

آجال قد ذكرها الله.

- **والسابع: أنها حروف من حساب الجمل،**

لما جاء في الخبر عن عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله، قال: مَرَّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة الكتاب وسورة البقرة:

{ الم. ذلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ } فأتى أخاه حُيَيَّ بْنَ أَخْطبَ في رجال من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل اللهُ عليك: { الم. ذلك الكِتَابُ }
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بلى " ،
فقالوا: " أجاءك بها جبريل من عند الله ". قال: " نعم " ،
قالوا: " لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلم أنه بُيِّنَ لنبي منهم مدة ملكه وما أُكل أمته غيرك " ،
فقال حُيَيٌّ بن أخطب وأقبل على من كان معه، فقال لهم: " الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة " ،
ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: " يا محمد هل كان مع هذا غيره "؟، قال: " نعم " ،
قال: " ماذا "؟ قال: " المص " ،
قال هذه أثقل وأطول، الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون ومائة سنة،
فهل مع هذا يا محمد غيره " ، قال: " نعم " ،
قال: " ماذا " قال: " الر "
قال: " هذه أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان سنةٍ،
فهل مع هذا يا محمد غيره " ، قال: " نعم "
قال: " ماذا "؟، قال: " المر " ، قال هذه أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة.
.، ثم قال: " لقد التبس علينا أمرك حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً " ،

ثم قاموا عنه، فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيَّ بن أخطبَ ولمن معه من الأحبار: " ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد إحدى وسبعون، وإحدى وستون ومائة، وإحدى وثلاثون ومائتان، وإحدى وسبعون ومائتان، فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون سنة "، (734 سنة)

قالوا: " لقد تشابه علينا أمره ". فيزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم: {هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}.

والثامن :أنه حروف هجاء أَعلم الله تعالى بها العَرَب حين تحداهم بالقرآن، أنه مُؤلَف من حروف كلام، هي هذه التي منها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم، إذ لم يخرج عن كلامهم.

فأما حروف أبجدَ فليس بناء كلامهم عليها، ولا هي أصل، وقد اختلف أهل العلم فيها على أربعة أقاويل:

- أحدها: أنها الأيام الستة، التي خلق الله تعالى فيها الدنيا، وهذا قول الضحاك بن مزاحم.
- والثاني: أنها أسماء ملوك مَدْيَن، وهذا قول الشعبي وفي قول بعض شعراء مَدْيَن دليل على ذلك قال شاعرهم:

أَلاَ يَا شُعَيْبٌ قَدْ نَطَقْتَ مَقَالَةَ　　سَبَبْتَ بِهَا عَمْراً وَحَيَّ بني عَمْرو
مُلُوكُ بني حطّي وَهَوَّزُ مِنْهُمُ　　وَسَعْفَصُ أَصْلٌ لِلّمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ
هُمُ صَبَّحُوا أَهْلَ الحِجَازِ بغارَةٍ　　كَمِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ أَوْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ

- والثالث :ما روى ميمون بن مهران، عن ابن عباس، أن لأبي جاد حديثاً عجباً: (أبى (آدمُ الطاعة، و (جد) في أكل الشجرة، وأما (هوّز)، فنزل آدم فهوى من السماء إلى الأرض، وأما (حطي) فحطت خطيئته، وأما (كلمن) فأكل من الشجرة، ومَنَّ عليه بالتوبة، وأما (سعفص) فعصى آدم، فأُخرج من النعيم إلى النكد، وأما قرشت فأقرّ بالذنب، وسَلِمَ من العقوبة.
- والرابع: أنها حروف من أسماء الله تعالى، روى ذلك معاوية بن قرة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم

(ذَلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)2

قوله تعالى: { ذَلِكَ الكِتَابُ } فيه ثلاثة تأويلات:

- أحدها: يعني التوراة والإنجيل، ليكون إخباراً عن ماضٍ.
- والثاني: يعني به ما نزل من القرآن قبل هذا بمكة والمدينة، وهذا قول الأصم.
- والثالث: يعني هذا الكتاب، وقد يستعمل ذلك في الإشارة إلى حاضر، وإن كان موضوعاً للإشارة إلى غائب، قال خُفاف بن ندبة:

أَقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأطِرُ مَتْنُهُ　　تَأَمَّلْ خُفَافاً إِنّنِي أَنَا ذَلِكَا

ومن قال بالتأويل الأول: أن المراد به التوراة والإنجيل، اختلفوا في المخاطب به على قولين:

- أحدهما: أن المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم، أي ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل، هو الذي أنزلته عليك يا محمد.
- والقول الثاني: أن المخاطب به اليهود والنصارى، وتقديره: أن ذلك الذي وعدتكم به هو هذا الكتاب، الذي أنزلته على محمد عليه وعلى آله السلام.

قوله عز وجل: { لاَ رَيْبَ فيهِ } وفيه تأويلان:

- أحدهما: أن الريب هو الشك، وهو قول ابن عباس، ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى:

لَيْسَ في الْحَقِّ يَا أُمَيْمَةَ رَيْبٌ   إِنَّمَا الرَّيْبُ مَا يَقُولُ الْجَهُولُ

- والتأويل الثاني: أن الريب التهمة ومنه قول جميل:

بُثَيْنَةَ قالتْ: يا جَمِيلُ أَرَبْتَنِي   فَقُلْتُ: كِلاَنَا يَا بُثَيْنُ مُرِيب

قوله عزَّ وجلَّ: { هُدىً لِلْمُتَّقِينَ } ، يعني به هدىً من الضلالة.
قال راغب اصفهاني في معجم مفردات الالفاظ القرآن في ريب و شك

النصوص الواردة في (معجم مفردات ألفاظ القرآن/الأصفهاني - مصنف ومدقق مرحلة اولى) ضمن الموضوع (الرّاء) ضمن العنوان (ريب)

ريب :يقال رابني كذا، وأرابني، فالريب: أن تتوهم بالشيء أمرا ما، فينكشف عما تتوهمه، قال تعالى:

{يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ} [الحج:5]،

{فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا] {البقرة:23]،

تنبيها أن لا ريب فيه،

وقوله: {رَيْبَ ٱلْمَنُونِ] {الطور:30]، سماه ريبا لا أنه مشكك في كونه، بل من حيث تشكك في وقت حصوله، فالإنسان أبدا في ريب المنون من جهة وقته، لا من جهة كونه، وعلى هذا قال الشاعر:

قد علموا أن لا بقاء لهم   لو أنهم عملوا مقدار ما علموا

ومثله:

أمن المنون وريبها تتوجع؟

وقال تعالى: {لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} [هود:110]، {مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ} {ق:25]، والارتياب يجري مجرى الإرابة،

قال: {أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ} [النور:50]،

{وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ} [الحديد:14[، ونفى من المؤمنين الارتياب

فقال: {وَلاَ يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ} [المدثر:31]،

وقال: {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ} [الحجرات:15]،

وقيل: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك "وريب الدهر صروفه، وإنما قيل ريب لما يتوهم فيه من المكر، والريبة اسم من الريب

قال: {بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ} [التوبة:110]، أي: تدل على دغل وقلة يقين.

قال راغب اصفهاني في شك

النصوص الواردة في (معجم مفردات ألفاظ القرآن/الأصفهاني - مصنف ومدقق مرحلة اولى) ضمن الموضوع (الشّين) ضمن العنوان (شك)

شكك :الشك: اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين، أو لعدم الأمارة فيهما،

والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أو غير موجود؟

وربما كان في جنسه، من أي جنس هو؟

وربما كان في بعض صفاته،

وربما كان في الغرض الذي لأجله أوجد. والشك: ضرب من الجهل، وهو أخص منه؛ لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا، فكل شك جهل، وليس كل جهل شكا،

قال الله تعالى: {فِي شَكٍّ مَّرِيبٍ} [سبأ:54]،

{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ} [الدخان:9]،

{فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ} [يونس:94

.[واشتقاقه إما من شككت الشيء أي: خرقته، قال:

وشككت بالرمح الأصم ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرم

فكأن الشك الخرق في الشيء، وكونه بحيث لا يجد الرأي مستقرا يثبت فيه ويعتمد عليه. ويصح أن يكون مستعارا من الشك، وهو لصوق العضد بالجنب، وذلك أن يتلاصق النقيضان فلا مدخل للفهم والرأي؛ لتخلل ما بينهما، ويشهد لهذا قولهم: التبس الأمر، واختلط، وأشكل، ونحو ذلك من الاستعارات.

والشكة :السلاح الذي به يشك، أي: يفصل.

قال الزمخشري في ريب

والريب: مصدر رابني، إذا حصل فيك الريبة. وحقيقة الريبة: قلق النفس واضطرابها. ومنه ما روى الحسن بن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

" (10) **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الشك ريبة، وإنّ الصدق طمأنينة** "

أي فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ولا تستقرّ. وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن. ومنه: ريب الزمان، وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه. ومنه:

(11) أنه مر بظبي حاقف فقال: " **«لا يربه أحد بشيء "**. فإن قلت: كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق؟ وكم من مرتاب فيه؟ قلت: ما نفى أنّ أحد لا يرتاب فيه وإنما المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له؛ لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه. ألا ترى إلى قوله تعالى:
{ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مّن مّثْلِهِ }[البقرة: 23]، فما أبعد وجود الريب منهم؟ وإنما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب، وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة، هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها؟ فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة.

فإن قلت: فهلا قدّم الظرف على الريب، كما قدّم على الغَوْل في قوله تعالى: { لاَ فِيهَا غَوْلٌ }[الصافات: 47]؟
قلت: لأنّ القصد في إيلاء الريب حرف النفي، نفي الريب عنه، وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب، كما كان المشركون يدّعونه، ولو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد، وهو أنّ كتاباً آخر فيه الريب فيه، كما قصد في قوله: { لاَ فِيهَا غَوْلٌ } تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي، كأنه قيل: ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة، وقرأ أبو الشعثاء: { لاَ رَيْبَ فِيهِ } بالرفع:
والفرق بينها وبين المشهورة، أنّ المشهورة توجب الاستغراق، وهذه تجوّزه.
والوقف على { فِيهِ } هو المشهور. وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على {لاَ رَيْبَ} ولا بد للواقف من أن ينوي خبراً. ونظيره قوله تعالى: { قَالُواْ لاَ ضَيْرَ } الشعراء: 50]، وقول العرب: لا بأس، وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز. والتقدير: { لاَ رَيْبَ فِيهِ }.
{ فِيهِ هُدًى } الهدى مصدر على فعل، كالسرى والبكى، وهو الدلالة الموصلة إلى البغية، بدليل وقوع الضلالة في مقابلته. قال الله تعالى:{ أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ }[البقرة: 16]. وقال تعالى: { لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ }[سبأ: 24]. ويقال: مهد، في موضع المدح كمهتد؛ ولأن اهتدى مطاوع هدى ـ ولن يكون المطاوع في خلاف معنى أصله ـ ألا ترى إلى نحو: غمه فاغتم، وكسره فانكسر، وأشباه ذلك: فإن قلت: فلم قيل: { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } والمتقون مهتدون؟
قلت: هو كقولك للعزيز المكرم: أعزك الله وأكرمك، تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته، كقوله: { ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ }. ووجه آخر، وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى: متقين، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(12)

**

قال الرازي في ريب
قوله تعالى: { لاَ رَيْبَ فِيهِ } فيه مسألتان:
المسألة الأولى: الريب قريب من الشك. وفيه زيادة، كأنه ظن سوء تقول رابني أمر فلان إذا ظننت به سوء، ومنها قوله عليه السلام: " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك "
فإن قيل: قد يستعمل الريب في قولهم: «ريب الدهر» و «ريب الزمان» أي حوادثه قال الله تعالى:
}نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ{
]الطور: 30] ويستعمل أيضاً في معنى ما يختلج في القلب من أسباب الغيظ كقول الشاعر

قضينا من تهامة كل ريب   وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

قلنا :هذان قد يرجعان إلى معنى الشك، لأن ما يخاف من ريب المنون محتمل، فهو كالمشكوك فيه، وكذلك ما اختلج بالقلب فهو غير متيقن، فقوله تعالى: { لاَ رَيْبَ فِيهِ } المراد منه نفي كونه مظنة للريب بوجه من الوجوه، والمقصود أنه لا شبهة في صحته، ولا في كونه من عند الله، ولا في كونه معجزاً. ولو قلت: المراد لا ريب في كونه معجزاً على الخصوص كان أقرب لتأكيد هذا التأويل بقوله:

}وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا]{ البقرة [23 :

وها هنا سؤالان:

السؤال الأول: طعن بعض الملحدة فيه فقال: إن عني أنه لا شك فيه عندنا فنحن قد نشك فيه، وإن عنى أنه لا شك فيه عنده فلا فائدة فيه.

الجواب: المراد أنه بلغ في الوضوح إلى حيث لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه، والأمر كذلك؛ لأن العرب مع بلوغهم في الفصاحة إلى النهاية عجزوا عن معارضة أقصر سورة من القرآن، وذلك يشهد بأنه بلغت هذه الحجة في الظهور إلى حيث لا يجوز للعاقل أن يرتاب فيه.

السؤال الثاني: لم قال ههنا: { لاَ رَيْبَ فِيهِ } وفي موضع آخر **}لاَ فِيهَا غَوْلٌ]{** الصافات[47 :؟

الجواب: لأنهم يقدمون الأهم فالأهم، وههنا الأهم نفي الريب بالكلية عن الكتاب، ولو قلت: لا فيه ريب لأوهم أن هناك كتاباً آخر حصل الريب فيه لا ها هنا، كما قصد في قوله: { لاَ فِيهَا غَوْلٌ } تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا، فإنها لا تغتال العقول كما تغتالها خمرة الدنيا

السؤال الثالث: من أين يدل قوله: { لاَ رَيْبَ فِيهِ } على نفي الريب بالكلية؟

الجواب: قرأ أبو الشعثاء { لاَ رَيْبَ فِيهِ } بالرفع.

واعلم أن القراءة المشهورة توجب ارتفاع الريب بالكلية، والدليل عليه أن قوله: { لاَ رَيْبَ }نفي لماهية الريب ونفي الماهية يقتضي نفي كل فرد من أفراد الماهية، لأنه لو ثبت فرد من أفراد الماهية لثبتت الماهية، وذلك يناقض نفي الماهية، ولهذا السر كان قولنا: «لا إله إلا الله» نفياً لجميع الآلهة سوى الله تعالى .وأما قولنا: «لا ريب فيه» بالرفع فهو نقيض لقولنا: «ريب فيه» وهو يفيد ثبوت فرد واحد، فذلك النفي يوجب انتفاء جميع الأفراد ليتحقق التناقض.

الوقف على «فيه:«

المسألة الثانية: الوقف على { فِيهِ } هو المشهور، وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على } لاَ رَيْبَ } ولا بدّ للواقف من أن ينوي خبراً، ونظيره قوله:

}قَالُواْ لاَ ضَيْرَ(الشعراء [50 :وقول العرب: لا بأس، وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز؛ والتقدير: (لاَ رَيْبَ فِيهِ)

(فِيهِ هُدًى). واعلم أن القراءة الأولى أولى؛ لأن على القراءة الأولى يكون الكتاب نفسه هدى، وفي الثانية لا يكون الكتاب نفسه هدى بل يكون فيه هدى، والأول أولى لما تكرر في القرآن من أن القرآن نور وهدى والله أعلم.

**

وفي المتقين ثلاثة تأويلات:

- أحدها: أنهم الذين اتقوا ما حرم الله عليهم وأدَّوا ما افترض عليهم، وهذا قول الحسن البصري.
- والثاني: أنهم الذين يحذرون من الله تعالى عقوبته ويرجون رحمته وهذا قول ابن عباس.
- والثالث: أنهم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق وهذا فاسد، لأنه قد يكون كذلك، وهو فاسق وإنما خص به المتقين، وإن كان هدىً لجميع الناس، لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه.

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَٰوةَ وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ3

{ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبَ }

قوله تعالى: { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبَ } فيه تأويلان:

- أحدهما: يصدقون بالغيب، وهذا قول ابن عباس.
- والثاني: يخشون بالغيب، وهذا قول الربيع بن أنس.

وفي الأصل الإيمان ثلاثة أقوال:

- أحدها: أن أصله التصديق، ومنه قوله تعالى: { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا } أي بمصدِّق لنا.
- والثاني: أن أصله الأمان فالمؤمن يؤمن نفسه من عذاب الله، والله المؤمِنُ لأوليائه من عقابه.
- والثالث: أن أصله الطمأنينة،

فقيل للمصدق بالخبر مؤمن، لأنه مطمئن.

وفي الإيمان ثلاثة أقاويل:

- أحدها: أنّ الإيمان اجتناب الكبائر.

- والثاني: أن كل خصلة من الفرائض إيمان.
- والثالث: أن كل طاعةٍ إيمان.

وفي الغيب ثلاثة تأويلات:

- أحدها: ما جاء من عند الله، وهو قول ابن عباس.
- والثاني: أنه القرآن، وهو قول زر بن حبيش.
- والثالث: الإيمان بالجنة والنار والبعث والنشور.

{ وَيُقِيمونَ الصَّلوة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) }

وفي قوله تعالى: { وَيُقِيمُون الصَّلاَةَ } تأويلان:

- احدهما: يؤدونها بفروضها.
- والثاني: أنه إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع فيها، وهذا قول ابن عباس.

واختُلف لِمَ سُمِّي فعل الصلاة على هذا الوجه إقامةً لها، على قولين:

- أحدهما: من تقويم الشيء من قولهم قام بالأمر إذا أحكمه وحافظ عليه.
- والثاني: أنه فعل الصلاة سُمِّي إقامة لها، لما فيها من القيام فلذلك قيل: قد قامت الصلاة.

وفي قوله: { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } ثلاثة تأويلات:

- أحدها: إيتاء الزكاة احتساباً لها، وهذا قول ابن عباس.
- والثاني: نفقة الرجل على أهلِهِ، وهذا قول ابن مسعود.
- والثالث: التطوع بالنفقة فيما قرب من الله تعالى، وهذا قول الضحاك:

وأصل الإنفاق الإخراج، ومِنْهُ قيل: نَفَقَتِ الدابة إذا خرجت رُوحها.
واختلف المفسرون، فِيمَنْ نزلت هاتان الآيتان فيه، على ثلاثة أقوال:

- أحدها: أنها نزلت في مؤمني العرب دون غيرهم، لأنه قال بعد هذا: { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ } يعني به أهْلَ الكتاب، وهذا قول ابن عباس.
- والثاني: أنها مع الآيتين اللتين من بعد أربع آيات نزلت في مؤمني أهل الكتاب، لأنه ذكرهم في بعضها.

- والثالث: أن الآيات الأربع من أول السورة، نزلت في جميع المؤمنين، وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: " نزلت أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثَلاَث عَشْرَةَ في المُنافقين.

وٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ4

قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ } وما بعدها.

أما قوله: { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ } يعني القرآن، { وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ } يعني به التوراة والإنجيل، وما تقدم من كتب الأنبياء، بخلاف ما فعلته اليهود والنصارى، في إيمانهم ببعضها دون جميعها.

{ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } فيه تأويلان:

- أحدهما: يعني الدار الآخرة.
- والثاني: يعني النشأة الآخرة

وفي تسميتها بالدار الآخرة قولان:

- أحدهما: لتأخرها عن الدار الأولى.
- والثاني: لتأخرها عن الخلق، كما سميت الدنيا لدنّوها من الخلق.

وقوله: { يُوقِنُونَ } أي يعلمون، فسمي العلم يقيناً لوقوعه عن دليل صار به يقيناً.

أُوْلَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ{ 5

وقوله تعالى: { أُولئِكَ على هُدىً مِنْ رَبِّهُمْ } يعني بيان ورشد.
{ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } فيه ثلاثة تأويلات:

- أحدها: أنهم الفائزون السعداء، ومنه قول لبيد:

لَوْ أَنَّ حَيّاً مُدْرِكُ الْفَلاَحِ أَدْرَكَهُ مُلاَعِبُ الرِّمَاحِ

- والثاني: المقطوع لهم بالخير، لأن الفلح في كلامهم القطع، وكذلك قيل للأكار فلاح، لأنه يشق الأرض، وقد قال الشاعر:

لَقَدْ عَلِمتَ يا ابنَ أمِّ صحصحْ   أن الحديدَ بالحديدِ يُفلحْ

واختلف فيمن أُرِيدَ بهم، على ثلاثة أوجه:

- أحدها: المؤمنون بالغيب من العرب، والمؤمنون بما أنزل على محمد، وعلى من قبله من سائر الأنبياء من غير العرب.
- والثاني: هم مؤمنو العرب وحدهم.
- والثالث: جميع المؤمنين.

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} 6

قوله تعالى: { إِنَّ الّذِينَ كَفَروا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ } وأصل الكفر عند العرب التغطية، ومنه قوله تعالى: { أَعْجَبَ الكُفَّار نَبَاتُهُ } يعني الزُّرَّاع لتغطيتهم البذر في الأرض، قال لبيد: في لَيْلَةٍ كَفَّرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا ......

أي غطَّاها، فسمي به الكافر بالله تعالى لتغطيته نعم الله بجحوده.

وأما الشرك فهو في حكم الكفر، وأصله في الإشراك في العبادة.

واختلف فِيمَنْ أُرِيدَ بذلك، على ثلاثة أوجه:

- أحدها: أنهم اليهود الذين حول المدينة، وبه قال ابن عباس، وكان يسميهم بأعيانهم.
- والثاني: أنهم مشركو أهل الكتاب كلهم، وهو اختيار الطبري.
- والثالث: أنها نزلت في قادة الأحزاب، وبه قال الربيع بن أنس.

{ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} 7

قوله تعالى: {خَتَمَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ} الختم الطبع، ومنه ختم الكتاب، وفيه أربعة تأويلات:

أحدها: وهو قول مجاهد: أن القلب مثل الكف، فإذا أذنب العبْدُ ذنباً ضُمَّ منه كالإصبع، فإذا أذنب ثانياً ضم منه كالإصبع

الثانية، حتى يضمَّ جميعه ثم يطبع عليه بطابع.
والثاني: أنها سمة تكون علامة فيهم، تعرفهم الملائكة بها من بين المؤمنين.

والثالث: أنه إخبار من الله تعالى عن كفرهم وإعراضهم عن سماع ما دعوا إليه من الحق، تشبيهاً بما قد انسدَّ وختم عليه، فلا يدخله خير.

والرابع: أنها شهادة من الله تعالى على قلوبهم، بأنها لا تعي الذكر ولا تقبل الحقَّ، وعلى أسماعهم بأنها لا تصغي إليه، والغشاوة: تعاميهم عن الحق. وسُمِّي القلب قلباً لتقلُّبِهِ بالخواطر، وقد قيل:

ما سُمِّيَ الْقَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلّبِهِ وَالرَّأْيُ يَصْرِفُ، والإنْسَانُ أَطْوَارُ

والغشاوة: الغطاء الشامل.

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ* { 8

(يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ{ 9

قوله تعالى: { يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ } يعني المنافقين يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، بأن يُظهروا من الإيمان خلاف ما يبطنون من الكفر، لأن أصل الخديعة الإخفاء، ومنه مخدع البيت، الذي يخفى فيه، وجعل الله خداعهم لرسوله خداعاً له، لأنه دعاهم برسالته.
{ وَمَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ } في رجوع وباله عليهم.

{ وَمَا يَشْعُرُون } يعني وما يفطنون، ومنه سُمِّي الشاعر، لأنه يفطن لما لا يفطن له غيره، ومنه قولهم ليت شعري.

(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً وَلَـهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) 10

قوله تعالى: { في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } فيه ثلاثة تأويلات:

- أحدها: شك، وبه قال ابن عباس.
- والثاني: نفاق، وهو قول مقاتل، ومنه قول الشاعر:

أَجَامِلُ أَقْوَاماً حَيَاءً وَقَدْ أَرَى • صُدُورَهُمُ تَغْلِي عَلَيَّ مِراضُها

- والثالث: أن المرض الغمُّ بظهور أمر النبي صلى الله عليه وسلم على أعدائه، وأصل المرض الضعف، يقال: مرَّض في القول إذا ضعَّفه.

{ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً } فيه تأويلان:

- أحدهما: أنه دعاء عليهم بذلك.
- والثاني: أنه إخبار من الله تعالى عن زيادة مرضهم عند نزول الفرائض، والحدود. { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } يعني مؤلم.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي ٱلأَرْضِ قَالُوۤاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *11}

قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا في الأَرضِ } فيه ثلاثة تأويلات:

- أحدها: أنه الكفر.
- والثاني: فعل ما نهى الله عنه، وتضييع ما أمر بحفظه.
- والثالث: أنه ممالأة الكفار.

وكل هذه الثلاثة، فساد في الأرض، لأن الفساد العدول عن الاستقامة إلى ضدها.

واختلف فِيمَنْ أُريدَ بهذا القول على وجهين:

- أحدهما: أنها نزلت في قوم لهم يكونوا موجودين في ذلك الوقت، وإنما يجيئون بعد، وهو قول سليمان.
- والثاني: أنها نزلت في المنافقين، الذين كانوا موجودين، وهو قول ابن عباس ومجاهد.

{ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } فيه أربعة تأويلات:
أحدها: أنهم ظنوا أن في ممالأة الكفار صلاحاً لهم، وليس كما ظنوا، لأن الكفار لو يظفرون بهم، لم يبقوا عليهم، فلذلك قال:

أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} 12

{ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ }.
والثاني: أنهم أنكروا بذلك، أن يكونوا فعلوا ما نهوا عنه من ممالأة الكفار، وقالوا إنما نحن مصلحون في اجتناب ما نهينا عنه.
والثالث: معناه أن ممالأتنا الكفار، إنما نريد بها الإصلاح بينهم وبين المؤمنين، وهذا قول ابن عباس.
والرابع: أنهم أرادوا أن ممالأة الكفار صلاح وهدى، وليست بفساد وهذا قول مجاهد.

فإن قيل: فكيف يصح نفاقهم مع مجاهدتهم بهذا القول؛ ففيه جوابان:
أحدهما: أنهم عرَّضوا بهذا القول، وكَنُّوا عنه من غير تصريح به.
والثاني: أنهم قالوا سراً لمن خلوا بهم من المسلمين، ولم يجهروا به، فبقوا على نفاقهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَآ آمَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوۤاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ آمَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لاَّ يَعْلَمُونَ{ 13

قوله تعالى: { وإذا قيل لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ } يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم { قَالُوا أَنُؤْمن كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ } فيه وجهان:

- أحدهما: أنهم عنوا بالسفهاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
- والثاني: أنهم أرادوا مؤمني أهل الكتاب.

والسفهاء جمع سفيه، وأصل السَّفَهِ الخِفَّةُ، مأخوذ من قولهم ثوب سفيه، وإذا كان خفيف النسيج، فسمَّي خفةُ الحلم سفهاً، قال السَمَوْأَلُ:

نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلاَمُنَا فَنَخْمُلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

(وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوۤا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوۤاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ { 14 *

قوله تعالى: { وَإِذَا خَلَوْا إِلى شَيَاطِينِهِمْ } في شياطينهم قولان:

- أحدهما: أنهم اليهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب، وهو قول ابن عباس.
- والثاني: رؤوسهم في الكفر، وهذا قول ابن مسعود.

وفي قوله: { إلى شَيَاطِينِهِمْ } ثلاثة أوجه:

- أحدها: معناه مع شياطينهم، فجعل " إلى " موضع " مع " ، كما قال تعالى: { مَنْ أَنْصَارِي إلى اللهِ } [آل عمران: 52] أي مع الله.
- والثاني: وهو قول بعض البصريين: أنه يقال خلوت إلى فلان،

إذا جعلته غايتك في حاجتك، وخلوت به يحتمل معنيين:

- أحدهما: هذا.
- والآخر: السخرية والاستهزاء منه فعلى هذا يكون قوله: { وَإِذَا خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ } أفصح، وهو على حقيقته مستعمل.
- والثالث: وهو قول بعض الكوفيين: أن معناه إذا انصرفوا إلى شياطينهم فيكون قوله: { إلى } مستعملاً في موضع لا يصح الكلام إلا به.

فأما الشيطان ففي اشتقاقه ثلاثة أقاويل:

- أحدها: أنه فيعال من شطن، أي بَعُدَ، ومنه قولهم: نوى شطون أي بعيدة، وشَطَنَتْ دارُه، أي بعدت، فسمي شيطاناً، إما لبعده عن الخير، وإما لبعد مذهبه في الشر، فعلى هذا النون أصلية.
- والقول الثاني: أنه مشتق من شاط يشيط، أي هلك يهلك كما قال الشاعر:

.... وَقَدْ يَشِيطَ عَلَى أَرْمَاحِنَا البَطَلُ

أي يهلك، فعلى هذا يكون النون فيه زائدة.

* والقول الفاصل: أنه فعلان من الشيط وهو الاحتراق، كأنه سُمِّي بما يؤول إليه حاله.

{ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ } أي على ما أنتم عليه من التكذيب والعداوة، { إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } أي ساخرون بما نظهره من التصديق والموافقة.

(ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} 15

قوله تعالى: { اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ } فيه خمسة أوجه:

- أحدها: معناه أنه يحاربهم على استهزائهم، فسمي الجزاء باسم المجازى عليه، كما قال تعالى: { فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْه بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } ، وليس الجزاء اعتداءً، قال عمرو بن كلثوم:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينا

- والثاني: أن معناه أنه يجازيهم جزاء المستهزئين.
- والثالث: أنه لما كان ما أظهره من أحكام إسلامهم في الدنيا، خلاف ما أوجبه عليهم من عقاب الآخرة، وكانوا فيه اغترار به، صار كالاستهزاء [بهم].
- والرابع: أنه لما حسن أن يقال للمنافق: { **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** } [الدخان: 49]، صار القول كالاستهزاء به.
- والخامس: ما حكي: أنهم يُفْتَح لهم باب الجحيم، فيرون أنهم يخرجون منها، فيزدحمون للخروج، فإذا انتهوا إلى الباب ضربهم الملائكة، بمقامع النيران، حتى يرجعوا، وهاذ نوع من العذاب، وإن كان كالاستهزاء.

قوله عز وجل: { وَيَمُدُّهُمْ في طُغْيانِهم يَعْمَهُونَ } وفي يمدهم تأويلان:

- أحدهما: يملي لهم، وهو قول ابن مسعود.
- والثاني: يزيدهم، وهو قول مجاهد.

(أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ)

قوله عز وجل: { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ }
الضلالة: الكفر، والهدى: الإيمان.

وفي قوله: { اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ } ثلاثة أوجه:
أحدها: أنه على حقيقة الشراء فكأنهم اشتروا الكفر بالإيمان.
والثاني: أنه بمعنى استحبوا الكفر على الإيمان، فعبر عنه بالشراء، لأن الشراء يكون فيما يستحبه مشتريه، فإما أن يكون على معنى شراء المعاوضة فعلاً، لأن المنافقين لم يكونوا قد آمنوا، فيبيعوا إيمانهم.
والثالث: أنه بمعنى أخذوا الكفر وتركوا الإيمان، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود.

{ فَمَا رَبِحَت تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } فيه ثلاثة أوجه:

- أحدها: وما كانوا مهتدين، في اشتراء الضلالة.
- والثاني: وما كانوا مهتدين إلى التجارة التي اهتدى إليها المؤمنون.
- والثالث: أنه لما كان التاجر قد لا يربح، ويكون على هدى في تجارته نفى الله عنهم الأمرين من الربح والاهتداء، مبالغة في ذمهم.

(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ)

قوله عز وجل: { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً } المثل بالتحريك والتسكين، والمَثَل بالتحريك مستعمل في الأمثال المضروبة، والمِثْل بالتسكين مستعمل في الشيء المماثل لغيره.

وقوله: { كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً } فيه وجهان:

- أحدهما: أنه أراد كمثل الذي أوقد، فدخلت السين زائدة في الكلام، وهو قول الأخفش.
- والثاني: أنه أراد استوقد مِنْ غيره ناراً للضياء، والنار مشتقة من النور.

{ فَلَمَّا أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ } يقال ضاءت في نفسها، وأضاءت ما حولها قال أبو الطمحان:

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللّيْلِ حَتَّى نَظَمَ الْجِزْعَ ثَاقِبُهْ

قوله عز وجل: { ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ } فيه وجهان:

- أحدهما: نور المستوقِد، لأنه في معنى الجمع، وهذا قول الأخفش.
- والثاني: بنور المنافقين، لأن المثل مضروب فيهم، وهو قول الجمهور.

وفي ذهاب نورهم وجهان:

- أحدهما: وهو قول الأصم ذهب الله بنورهم في الآخرة، حتى صار ذلك سمةً لهم يُعْرَفُونَ بها.
- والثاني: أنه عَنّى النور الذي أظهروه للنبي صلى الله عليه وسلم من قلوبهم بالإسلام.

وفي قوله: { وَتَرَكَهُمْ في ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ } قولان:

- أحدهما: معناه لم يأتهم بضياء يبصرون به.
- والثاني: أنه لم يخرجهم منه، كما يقال تركته في الدار، إذا لم تَخرجْهُ منها، وكأنَّ ما حصلوا فيه من الظلمة بعد الضياء أسوأ حالاً، لأن من طُفِئَت عنه النار حتى صار في ظلمة، فهو أقل بصراً ممن لم يزل في الظلمة، وهذا مَثَل ضربه الله تعالى للمنافقين.

وفيما كانوا فيه من الضياء، وجعلوا فيه من الظلمة قولان:

- أحدهما: أن ضياءهم دخولهم في الإسلام بعد كفرهم، والظلمة خروجهم منه بنفاقهم.
- والثاني: أن الضياء يعود للمنافقين بالدخول في جملة المسلمين، والظلمة زوالُهُ عنهم في الآخرة، وهذا قول ابنِ عباسٍ وقتادةَ.

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾

قوله تعالى: { صَمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ } وهذا جمع: أصم، وأبكم، وأعمى، وأصل الصَّمَمُ الإنسداد، يقال قناة صماء، إذا لم تكن مجوفة، وصممت القارورة، إذا سددتها، فالأصم: من انسدَّتْ خروق مسامعه.
أما البَكَمُ، ففيه أربعة أقاويل:

- أحدها: أنه آفة في اللسان، لا يتمكن معها من أن يعتمد على مواضع الحروف.
- والثاني: أنه الذي يولد أخرس.
- والثالث: أنه المسلوب الفؤاد، الذي لا يعي شيئاً ولا يفهمه.
- والرابع: أنه الذي يجمع بين الخَرَس وذهاب الفؤاد.

ومعنى الكلام، أنهم صمٌّ عن استماع الحق، بكم عن التكلم به، عُمْيٌ عن الإبصار له، رَوَى ذلك قتادة، { فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ } يعني إلى الإسلام.

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيۤ آذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ } * { يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 19 and 20

قوله عز وجل: { أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وبَرْقٌ } في الصيِّبِ تأويلان:

- أحدهما: أنه المطر، وهو قول ابن عباس وابن مسعود.
- والثاني: أنه السحاب، قال علقمة بن عبدة:

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ
فَلاَ تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ سُقِيتِ غَوَادِي الْمُزْنِ حِينَ تَصُوبُ

وفي الرعد ثلاثة أوجه:

- أحدها: أنه مَلَكٌ ينعق بالغيث، كما ينعق الراعي بغنمه، فَسُمِّيَ الصوتُ رعداً باسم ذلك المَلك، وبه قال الخليل.
- والثاني: أنه ريح تختنق تحت السحاب فَتُصَوِّبُ ذلك الصوت، وهو قول ابن عباس.
- والثالث: أنه صوت اصطكاك الأجرام.

وفي البرق ثلاثة أوجه:

- أحدها: أنه ضرب الملك الذي هو الرعد للسحاب بمخراق من حديد، وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- والثاني: أنه ضربه بسوطٍ من نور، وهذا قول ابن عباس.
- والثالث: أنه ما ينقدح من اصطكاك الأجرام.

والصواعق جمع صاعقة، وهو الشديد من صوت الرعد تقع معه قطعة نار، تحرق ما أتت عليه.

وفي تشبيه المثل في هذه الآية أقاويل:

- أحدها: أنه مَثَلٌ للقرآن، شُبِّهَ المطرُ المُنَزَّلُ من السماء بالقرآن، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان، وما فيه من الصواعق

بما في القرآن من الوعيد الآجل، والدعاء إلى الجهاد في العاجل، وهذا المعنى عن ابن عباس.

- والثاني: أنه مَثَلٌ، لما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم، وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم ومناكحهم ومواريثهم، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل.
- والثالث: أنه ضَرَبَ الصيِّب مَثَلاً بظاهر إيمان المنافق، ومثل ما فيه من الظلمات بصلابته، وما فيه من البرق بنور إيمانه، وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه.

قوله عز وجل: { يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ } معناه يستلبها بسرعة.
{ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوا } وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى للمنافقين، وفيه تأويلان:

- أحدهما: معناه كلما أضاء لهم الحق اتبعوه، وإذا أظلم عليهم بالهوى تركوه.
- والثاني: معناه كلما غنموا وأصابوا من الإسلام خيراً، اتبعوا المسلمين، وإذا أظلم عليهم فلم يصيبوا خيراً، قعدوا عن الجهاد.

قوله عز وجل: { وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ } فالمراد الجمع وإن كان بلفظ الواحد. كما قال الشاعر:

كُلُوا في نِصْفِ بَطْنِكُمُ تَعِيشُوا فَإِنَّ زَمَانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ

ذكر بني آدم او انسان و نعماءَ الله عليه 21 الي 29

21
}يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ { } *ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ فِرَٰشاً وَٱلسَّمَاءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ{

قوله عز وجل: { فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْداداً } فيه ثلاثة تأويلات:
أحدها: أنَّ الأنداد الأَكْفَاءُ، وهذا قول ابن مسعود.
والثاني: الأشباه، وهو قول ابن عباس.
والثالث: الأضداد، وهو قول المفضل.

{ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } فيه ثلاثة تأويلات:

- أحدها: وأنتم تعلمون أن الله خلقكم، وهذا قول ابن عباس وقتادة.
- والثاني: معناه وأنتم تعلمون أنه لا ندَّ له ولا ضد، وهذا قول مجاهد.
- والثالث: معناه وأنتم تعْقلون فعبر عن العقل بالعلم.

}وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ } * { فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ{

قوله عز وجل: { وَإِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا } يعني في القرآن، على عبدنا: يعني محمداً صلى الله عليه وسلم، والعبد مأخوذ من التعبد، وهو التذلل، وسُمي المملوك من جنس ما يعقل عبداً، لتذلله لمولاه.
{ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ } فيه تأويلان:

- أحدهما: يعني من مثله من القرآن، وهذا قول مجاهد وقتادة.
- والثاني: فأتوا بسورة من مثل محمد صلى الله عليه وسلم من البشر، لأن محمداً بشر مثلهم.

وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ } فيه ثلاثة تأويلات:

- أحدها: يعني أعوانكم، وهذا قول ابن عباس.
- والثاني: آلهتكم، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم، وهذا قول الفراء.
- والثالث: ناساً يشهدون لكم، وهذا قول مجاهد.

قوله عز وجل: { فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } الوَقود بالفتح الحطب، والوُقود بالضم التوقُّد، والحجارة من كبريتٍ أسود، وفيها قولان:

- أحدهما: أنهم يعذبون فيها بالحجارة مع النار، التي وقودها الناس، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس.

- والثاني: أن الحجارة وقود النار مع الناس، ذكر ذلك تعظيماً للنار، كأنها تحرق الحجارة مع إحراقها الناس.

وفي قوله: { أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } قولان:

- الأول: أنها وإن أعدت للكافرين، فهي معدة لغيرهم من مستحقي العذاب من غير الكافرين، وهي نار واحدة، وإنما يتفاوت عقابهم فيها.
- والثاني: أن هذه النار معدة للكافرين خاصة، ولغيرهم من مستحقي العذاب نارٌ غيرها.

}وَبَشِّرِ ٱلَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَٰبِهاً وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ{

قوله عز وجل: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ } بشر من البشارة، أو خبر يرد عليك بما يَسُرُّ، وقيل بما يُسرُّ ويُغِمُّ، وإنما كثر استعماله فيما يَسُرُّ، حتى عُدِلَ به عما يُغِمُّ، وهو مأخوذ من البَشْرَةِ وهي ظاهر الجلد لتغيرها بأول خبر [يرد عليه].

والجنات جمع جنة، وهي البستان ذو الشجر، وسمي جنة لأن ما فيه من الشجر يستره، وقال المفضل: الجنة كل بستان فيه نخل، وإن لم يكن فيه شجر غيره، فإن كان فيه كَرْمٌ فهو فردوس، كان فيه شجر غير الكرم أو لم يكن.

{ تَجْرِي مِنْ تَحْتَها الأَنْهَارُ } يعني من تحت الشجر، وقيل: إن أنهار الجنة تجري من غير أخدود.

قوله عز وجل: { كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هذا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ } ، يعني بقوله: { رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرةٍ رِزْقاً } أي من ثمار شجرها.

{ قَالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ } فيه تأويلان:

- أحدهما: أن معناه: أن هذا الذي رُزِقْنَاهُ من ثمار الجنة، مثلُ الذي رُزِقْنَاهُ من ثمار الدنيا، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة.

- والثاني: أن ثمار الجنة إذا جنيت من أشجارها، استخلف مكانها مثلها، فإذا رأوا ما استخلف بعد الذي جُنِي، اشتُبِه عليهم، فقالوا: { هذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْل } ، وهو قول أبي عبيد ويحيى بن أبي كثير.

قوله عز وجل: { وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً } فيه أربعة تأويلات:
- أحدها: أن معنى التشابه أن كله خيار يشبه بعضه بعضاً وليس كثمار الدنيا، التي لا تتشابه لأن فيها خياراً وغير خيار، وهذا قول الحسن وقتادة وابن جريج.
- والثاني: أن التشابه في اللون دون الطعم فكأن ثمار الجنة في ألوان ثمار الدنيا، وإن خالفتها في الطعم، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والربيع بن أنس.
- والثالث: أن التشابه في الأسماء دون الألوان والطعوم، فلا تشبه ثمار الجنة شيئاً من ثمار الدنيا في لون ولا طعم، وهذا قول ابن الأشجعي وليس بشيء.

قوله عز وجل: { وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ } في الأبدان، والأخلاق، والأفعال، فلا يَحِضْن، ولا يلدْن، ولا يذهَبْن إلى غائطٍ ولا بولٍ، وهذا قول جميع أهل التفسير.

}إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَسْتَحْى أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ ٱلْفَٰسِقِينَ } * {ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ{

قوله عز وجل: { إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فما فوقها }.
في قوله: { لاَ يَسْتَحْيِي } ثلاثةُ تأويلاتٍ:

- أحدها: معناه لا يترك.
- والثاني: [يريد] لا يخشى.
- والثالث: لا يمتنع، وهذا قول المفضل.

وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مواقَعَةِ القبح.
والبعوضة: من صفار البقِّ سُميت بعوضة، لأنها كبعض البقَّة لصِغَرِها.
وفي قوله: { مَا بَعُوضَةً } ثلاثةُ أوجُهٍ:

- أحدها: أن " ما " بمعنى الذي، وتقديره: الذي هو بعوضة.
- والثاني: أن معناه: ما بين بعوضة إلى ما فَوْقها.
- والثالث: أن " ما " صلةٌ زائدةٌ، كما قال النابغة:

قَالَتْ أَلاَ لَيْتُمَا هذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ

{ فَمَا فَوْقَهَا } فيه تأويلان:

- أحدهما: فما فوقها في الكبر، وهذا قول قتادة وابنِ جُريجٍ.
- والثاني: فما فوقها في الصغر، لأن الغرض المقصود هو الصغر.

وفي المثل ثلاثة أقاويل:

- أحدها: أنه وارد في المنافقين، حيث ضَرَبَ لهم المَثَلَيْنِ المتقدِّمين: مثَلَهُمْ كمثل الذي استوقد ناراً، وقوله: أو كصيِّب من السماء، فقال المنافقون: إن الله أعلى مِنْ أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله تعالى: { إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا } ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس.
- والثاني: أن هذا مثلٌ مبتدأ ضَرَبَهُ الله تعالى مثلاً للدنيا وأهلها، وهو أن البعوضة تحيا ما جاعت، وإذا شبعت ماتت، كذلك مثل أهل الدنيا، إذا امتلأوا من الدنيا، أخذهم الله تعالى عند ذلك، وهذا قول الربيع بن أنس.
- والثالث: أن الله عز وجل حين ذكر في كتابه العنكبوت والذباب وضربهما مثلاً، قال أهل الضلالة: ما بال العنكبوت والذباب يذكران، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهذا قول قتادةَ، وتأويل الربيع أحسن، والأولُ أشبَهُ.

قوله عز وجل: { يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً } فيه ثلاثةُ تأويلات:

- أحدها: معناه بالتكذيب بأمثاله، التي ضربها لهم كثيراً، ويهدي بالتصديق بها كثيراً.
  والثاني: أنه امتحنهم بأمثاله، فَضَلَّ قوم فجعل ذلك إضلالاً لهم، واهتدى قوم فجعله هدايةً لهم.
  والثالث: أنه إخبار عمَّنْ ضلَّ ومن اهتدى.

قوله عز وجل: { الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ } .
أما النقض، فهو ضد الإبرام، وفي العهد قولان:

- أحدهما: الوصيَّة.
- والثاني: الموثق.

والميثاق ما وَقَعَ التوثق به.
وفيما تضمنه عهده وميثاقه أربعة أقاويل:

- أحدها: أن العهد وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعة، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصية في كتبه، وعلى لسان رسله، ونقضهم ذلك بترك العمل به.
- والثاني: أن عهده ما خلقه في عقولهم من الحجة على توحيده وصدق رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم.
- والثالث :أن عهده ما أنزله على أهل الكتاب [من]، على صفة النبي صلى الله عليه وسلم، والوصية المؤكدة باتباعه، فذلك العهد الذي نقضوه بجحودهم له بعد إعطائهم الله تعالى الميثاق من أنفسهم، ليبينه للناس ولا يكتمونه، فأخبر سبحانه، أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً.
- والرابع: أن العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم، الذي وصفه في قوله تعالى:
}وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا{
]الأعراف: 172[.

وفي هذه الكتابة التي في ميثاقه قولان:

- أحدهما: أنها كناية ترجع إلى اسم الله وتقديره من بعد ميثاق الله.
- والثاني: أنها كناية ترجع إلى العهد وتقديره من بعد ميثاق العهد.

وفيمن عَنَاهُ الله تعالى بهذا الخطاب، ثلاثة أقاويل:

- أحدها: المنافقون.
- والثاني: أهل الكتاب.
- والثالث: جميع الكفار.

قوله عز وجل: { وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ } فيه ثلاثة تأويلات:

- أحدها: أن الذي أمر الله تعالى به أن يوصل، هو رسوله، فقطعوه بالتكذيب والعصيان، وهو قول الحسن البصري.
- والثاني: أنَّه الرحمُ والقرابةُ، وهو قول قتادة.
- والثالث: أنه على العموم في كل ما أمر الله تعالى به أن يوصل.

قوله عز وجلَّ: { وَيُفْسِدُونَ في الأَرْضِ } وفي إفسادهم في الأرض قولان:

- أحدهما: هو استدعاؤهم إلى الكفر.
- والثاني: أنه إخافتهم السُّبُلَ وقطعهم الطريق.

وفي قوله: { أُولئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } قولان:

- أحدهما: أن الخسران هو النقصان، ومنه قول جرير:

إنَّ سليطاً في الْخَسَارِ إنّهُ أوْلاَدُ قَوْمٍ حلفوا افنه

يعني بالخَسَار، ما ينقُصُ حظوظهم وشرفهم.

- والثاني: أن الخسران ها هنا الهلاك، ومعناه: أولئك هم الهالكون.

ومنهم من قال: كل ما نسبه الله تعالى من الخسران إلى غير المسلمين فإنما يعني الكفر، وما نسبه إلى المسلمين، فإنما يعني به الذنب.

}كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ{

قوله عز وجل: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ }.
في قوله: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ } قولان:

- أحدهما: أنه خارج مخرج التوبيخ.
- والثاني: أنه خارج مخرج التعجب، وتقديره: اعجبوا لهم، كيف يكفرون!

وفي قوله: { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } ستة تأويلات:

- أحدها: { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً } أي لم تكونوا شيئاً، { فَأَحْيَاكُمْ } أي خلقكم، { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } عند انقضاء آجالكم، { ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } يوم القيامة، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود.
- والثاني: أن قوله: { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً } يعني في القبور { فَأَحْيَاكُمْ } للمساءلة، { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } في قبوركم بعد مساءلتكم، ثم يحييكم عند نفخ الصور للنشور، لأن حقيقة الموت ما كان عن حياةٍ، وهذا قول أبي صالح.

- والثالث: أن قوله: { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً } يعني في أصلاب آبائكم، { فَأَحْيَاكُمْ } أي أخرجكم من بطون أمهاتكم، { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } الموتة التي لا بد منها، { ثم يُحْيِيكُمْ } للبعث يوم القيامة، وهذا قول قتادة.
- والرابع: أن قوله: { وَكُنْتُمْ أَمْواتاً } يعني: أن الله عز وجل حين أخذ الميثاق على آدم وذريته، أحياهم في صلبه وأكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم، ثم أحياهم وأخرجهم من بطون أمهاتهم، وهو معنى قوله تعالى:
{ يَخْلُقُكُمْ في بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ }
[الزمر: 6] فقوله: { وَكُنُتُم أَمْوَاتاً } يعني بعد أخذ الميثاق، { فَأَحْيَاكُمْ } بأن خلقكم في بطون أمهاتكم ثم أخرجكم أحياء، { ثم يُمِيتُكُمْ } بعد أن تنقضي آجالكم في الدنيا، { ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } بالنشور للبعث يوم القيامة، [وهذا] قول ابن زيدٍ.
- والخامس: أن الموتة الأولى مفارقة نطفة الرجل جسده إلى رحم المرأة، فهي مَيِّتَةٌ من حين فراقها من جسده إلى أن ينفخ الروح فيها، ثم يحييها بنفخ الروح فيها، فيجعلها بشراً سويّاً، ثم يميته الموتة الثانية بقبض الروح منه، فهو ميت إلى يوم ينفخ في الصور، فيرُد في جسده روحه، فيعود حياً لبعث القيامة، فذلك موتتان وحياتان.
- والسادس: أن قوله: { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً } خاملي الذكر دارسي الأثر، { فَأَحْيَاكُمْ } بالظهور والذكر، { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } عند انقضاء آجَالكم، { ثُمَّ يُحييكُمْ } للبعث، واستشهد من قال هذا التأويل بقول أبي بُجَيْلَةَ السَّعْدِيِّ:

وَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خامِلاً   وَلكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وفي قوله: { ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } تأويلان:
- أحدهما: إلى الموضع الذي يتولى الله الحكم بينكم.
- والثاني: إلى المجازاة على الأعمال.

{ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

قوله عز وجل: { ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ } فيه ستة أقاويل:

- أحدها: أن معنى قوله: { اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ } أي أقبل عليها، وهذا قول الفراء.

- والثاني: معناه: عمد إليها، وقصد إلى خلقها.
- والثالث: أنّ فِعْل الله تحوَّل إلى السماء، وهو قول المفضل.
- والرابع: معناه: ثم استوى أمره وصنعه الذي صَنَعَ به الأشياء إلى السماء، وهذا قول الحسن البصري.
- والخامس: معناه ثم استوت به السماء.
- السادس: أن الاستواء والارتفاع والعلوَّ، وممن قال بذلك: الربيع بن أنس،

ثم اختلف قائلو هذا التأويل في الذي استوى إلى السماء فعلا عليها على قولين:

- أحدهما: أنه خالقها ومنشئها.
- والثاني: أنه الدخان، الذي جعله الله للأرض سماءً.

30

}وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ{ 30

قوله عز وجل: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً } ، في قوله: { وَإِذْ } وجهان:

- أحدهما: أنه صلة زائدة، وتقدير الكلام: وقال ربك للملائكة، وهذا قول أبي عبيدة، واستشهد بقول الأسود بن يعفر:

فَإِذَا وَذَلِكَ لاَ مَهَاةَ لِذِكْرِهِ وَالدَّهْرُ يَعْقُبُ صَالِحاً بِفَسَادِ

- والوجه الثاني: أن " إذ " كلمة مقصورة، وليست بصلة زائدة،

وفيها لأهل التأويل قولان:

- أحدهما: أن الله تعالى لما ذكَّر خلقه نِعَمَهُ عليهم بما خلقه لهم في الأرض، ذكّرهم نِعَمَهُ على أبيهم آدَمَ { إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة } ، وهذا قول المفضَّل.
- والثاني: أن الله تعالى ذكر ابتداء الخلق فكأنه قال: وابتدأ خلقكم { إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة } ، وهذا من المحذوف الذي دَلَّ عليه الكلام، كما قال النمر بن تَوْلَبَ:

فَإِنَّ الْمَنِّيةَ مَنْ يَخْشَهَا فَسَوفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا

يريد: أينما ذهب.

فأما الملائكة فجمع مَلَكٍ، وهو مأخوذ من الرسالة، يقال: أَلِكِني إليها أي أرسلني إليها، قال الهذلي:

أَلِكْنِي وَخَيْرُ الرَّسُو لِ أَعْلَمُهُمْ بنواحِي الخَبَرْ

والألوك الرِّسالة، قال لبيد بن ربيعة:

وَغلاَمٍ أَرْسَلَتْهُ أُمُّهُ بأَلُوكٍ فَبَذَلْنَا مَا سَأَلْ

- وإنما سميت الرسالة ألوكاً لأنها تُؤْلك في الفم، والفرس يألك اللجام ويعلكه، بمعنى يمضغ الحديد بفمه.

والملائكة أفضل الحيوان وأعقل الخلق، إلا أنهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينكحون، ولا يتناسلون، وهم رسل الله، لا يعصونه في صغير ولا كبير، ولهم أجسام لطيفة لا يُرَوْنَ إلا إذا قوَّى الله أبصارنا على رؤيتهم.

وقوله تعالى: { إِنِّي جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً } اختلف في معنى { جاعل } على وجهين:

- أحدهما: أنه بمعنى خالق.
- والثاني: بمعنى جاعل، لأن حقيقة الجَعْل فِعْلُ الشيء على صفةٍ، وحقيقة الإحداث إيجاد الشيء بعد العدم.

و { الأرض } قيل: إنها مكة،

وروى ابن سابط، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" دُحِيَت الأرضُ من مكةَ "** ولذلك سميت أم القرى،

قال: وقبر نوح، وهود، وصالح، وشعيب بن زمزم، والركن، والمقام.

وأما " الخليفة " فهو القائم مقام غيره، من قولهم: خَلَفَ فلانٌ فلاناً، والخَلَفُ بتحريك اللام من الصالحين، والخَلْفُ بتسكينها من الطالحين، وفي التنزيل:

{ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ** }[مريم: 59]،

وفي الحديث: **" ينقل هذا العِلْمَ من كل خَلَفٍ عُدُولُهُ ".**

- وفي خلافة آدم وذريته ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كان في الأرض الجِنُّ، فأفسدوا فيها، سفكوا الدماء، فأُهْلِكوا، فَجُعِلَ آدم وذريته بدلهم، وهذا قول ابن عباس.

- والثاني: أنه أراد قوماً يَخْلُفُ بعضهم بعضاً من ولد آدم، الذين يخلفون أباهم آدم في إقامة الحق وعمارة الأرض، وهذا قول الحسن البصري.
- والثالث: أنه أراد: جاعل في الأرض خليفةً يخْلُفُني في الحكم بين خلقي، وهو آدم، ومن قام مقامه من ولده، وهذا قول ابن مسعود.

قوله عز وجل: { قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مِنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } ، وهذا جواب من الملائكة حين أخبرهم، أنه جاعل في الأرض خليفةً، واختلفوا في جوابهم هذا، هل هو على طريق الاستفهام أو على طريق الإيجاب؟ على وجهين:

- أحدهما: أنهم قالوه استفهماً واستخباراً حين قال لهم: إني جاعلٌ في الأرض خليفة، فقالوا: يا ربنا أَعْلِمْنَا، أجاعل أنت في الأرض من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء؟ فأجابهم: إني أعلم ما لا تعلمون، ولم يخبرهم.
- والثاني: أنه إيجاب، وإن خرجت الألف مَخْرج الاستفهام، كما قال جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايا   وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطَونَ رَاح

وعلى هذا الوجه في جوابهم بذلك قولان:

- أحدهما: أنهم قالوه ظناً وتوهُّماً، لأنهم رأوا الجن من قبلهم، قد أفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فتصوروا أنه إن استخلف استخلف في الأرض مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدماء.

وفي جوابهم بهذا وجهان:

- أحدهما: أنهم قالوه استعظاماً لفعلهم، أي كيف يفسدون فيها، ويسفكون الدماء، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها فقال: إني أعلم ما لا تعلمون.
- والثاني: أنهم قالوه تعجباً من استخلافه لهم أي كيف تستخلفهم في الأرض وقد علمت أنهم يفسدون فيها ويسفكون الدماء فقال: { إني أعلم ما لا تعلمون }.

وقوله: { وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } السفك صب الدم خاصةً دون غَيْرِهِ من الماء والمائع، والسفح مثله، إلا أنه مستعمل في كل مائع على وجه التضييع، ولذلك قالوا في الزنى: إنه سفاح لتضييع مائه فيه.
قوله عز وجل: { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ }.

والتسبيح في كلامهم التنزيه من السوء على جهة التعظيم، ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ   سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الْفَاجِرِ

أي براءةً من علقمة.

ولا يجوز أن يسبَّحَ غَيْرُ اللهِ، وإن كان منزهاً، لأنه صار علَماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم الَّتي لا يستحقها إلا اللهُ تعالى.
وفي المراد بقولهم: { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ } أربعة أقاويل:

- أحدها: معناه نصلي لك، وفي التنزيل: { **فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ** } [الصافات: 143]، أي من المصلين، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود.
- والثاني: معناه نعظِّمك، وهذا قول مجاهد.
- والثالث: أنه التسبيح المعروف، وهذا قول المفضل، واستشهد بقول جرير:

قَبَّحَ الإلهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا   سَبَّحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إهْلاَلاَ

وأما قوله: { وَنُقَدِّسُ لَكَ } فأصل التقديس التطهير، ومنه قوله تعالى: { الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ } أي المطهَّرة، وقال الشاعر:

فَأَدْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بالسَّاقِ وَالنَّسَا   كَمَا شَبْرَقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ

أي المطهَّر.

وفي المراد بقولهم: { وَنُقَدِّسُ لَكَ } ثلاثةُ أقاويلَ:

- أحدها: أنه الصلاة.
- والثاني: تطهيره من الأدناس.
- والثالث: التقديس المعروف.

وفي قوله تعالى: { قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لاَ تَعْلَمُونَ } ثلاثةُ أقاويل:

- أحدها: أراد ما أضمره إبليس من الاستكبار والمعصية فيما أُمِرُوا به من السجود لآدم، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود.
- والثاني: مَنْ في ذرية آدم في الأنبياء والرُّسُلِ الذين يُصْلِحُونَ في الأرض ولا يفسدون، وهذا قول قتادة.
- والثالث: ما اختص بعلمه من تدبير المصالح.

}وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰؤُلاۤءِ إِن كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ } * { قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ } * { قَالَ يَآءَادَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِيۤ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ{

قوله عز وجل: { وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا } في تسميته بآدم قولان:

- أحدهما: أنه سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وأديمها هو وجهها الظاهر، وهذا قول ابن عباس، وقد رَوَى أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" إِنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ، قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ، وَالأَسوَدُ، وَالأَبْيَضُ، وَالسَهْلُ، وَالخَبِيْثُ، وَالطَّيِّبُ ".**
- والثاني: أنه مأخوذ من الأدمة، وهي اللون.

وفي الأسماء التي علَّمها الله تعالى آدَمَ، ثلاثة أقْوَالٍ:

- أحدها: أسماء الملائكة.
- والثاني: أسماء ذريته.
- والثالث: أسماء جميع الأشياء، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، ومجاهد.

ثم فيه وجهان:

- أحدهما: أن التعليم إنما كان مقصوراً على الاسم دون المعنى.
- والثاني: أنه علمه الأسماء ومعانيها، إذ لا فائدة في علم الأسماء بلا معاني، فتكون المعاني هي المقصودة، والأسماءُ دلائل عليها.

وإذا قيل بالوجه الأول، أن التعليم إنما كان مقصوراً على ألفاظ الأسماء دون معانيها، ففيه وجهان:

- أحدهما: أنه علمه إياها باللغة، التي كان يتكلم بها.
- والثاني: أنه علمه بجميع اللغات، وعلمها آدمُ ولده، فلما تفرقوا تكلم كل قوم منهم بلسان استسهلوه منها وأَلِفُوه، ثم نسوا غيره فتطاول الزمن، وزعم قوم أنهم أصبحوا وكل منهم يتكلمون بلغةٍ قد نسوا غيرها في ليلة واحِدةٍ، ومثل هذا في العُرْفِ ممتنع.

قوله عز وجلَّ: { ثُمَّ عَرَضَهُمْ على الْمَلاَئِكَةِ } وفيما عرضه عليهم قولان:

- أحدهما: أنه عرض عليهم الأسماء دون المسميات.
- والثاني: أنه عرض عليهم المُسَمَّيْنَ بها.

وفي حرف ابن مسعود: { وَعَرَضَهُنَّ } وفي حرف أُبَيٍّ: { وَعَرَضَهَا } فكان الأصح توجه العرض إلى المُسَمَّيْنَ.

ثم في زمان عرْضِهِم قولان:

- أحدهما: أنه عرضهم بعد أن خلقهم.
- والثاني: أنه صورهم لقلوب الملائكة، ثم عرضهم قبل خلقهم.

{ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ومعنى أنبئوني خبروني مأخوذ من الإنباء، وفي الإنباء قولان:

- أَظْهَرُهُمَا: أنه الإخبار، والنبأ الخبر، والنبيء بالهمز مشتق من هذا.
- والثاني: أن الإنباء الإعلام، وإنما يستعمل في الإخبار مجازاً.

وقوله: { بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ } يعني الأسماءَ الَّتي علمها آدم.
وفي قوله تعالى: { إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ستة أقاويل:

- أحدها: إن كنتم صادقين أني لا أخلق خَلْقاً إلا كنتم أعلم منه؛ لأنه هجس في نفوسهم أنهم أعلم من غيرهم.
- والثاني: إن كنتم صادقين فيما زعمتم أن خُلَفَائي يفسدون في الأرض.
- والثالث: إن كنتم صادقين أني إنِ استخلفتكم فيها سبَّحْتموني وقَدَّسْتُمُوني، فإن استخلفت غيركم فيها عصاني.
- والرابع: إن كنتم صادقين فيما وقع في نفوسكم، أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل منه.
- والخامس: معنى قوله: { إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } أي عالمين.
- والسادس: أن معناه إن كنتم صادقين.

قوله عز وجل: { إنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } العليم: هو العالم من غير تعليم، وفي " الحكيم " ثلاثة أقاويل:

- أحدها: أنه المُحْكِمُ لأفعاله.
- والثاني: أنه المانع من الفساد، ومنه سميت حَكَمَةُ اللجام، لأنها تمنع الفرس من الجري الشديد، وقال جرير:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ   إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

أي امنعوهم.

- والثالث: أنه المُصِيبُ للحقِّ، ومنه سمي القاضي حاكماً، لأنه يصيب الحق في قضائه، وهذا قول أبي العباس المبرد.

قوله تعالى: { وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ }: { مَا تُبْدُونَ } هو قولهم: { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } ، وفي { مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } قولان:

- أحدهما: ما أسرَّه إبليس من الكبر والعصيان، وهذا قول ابن عباس، وابن مسعود.
- والثاني: أن الذي كتموه: ما أضمروه في أنفسهم أن الله تعالى لا يخلق خلقاً إلاَّ كانوا أكرمَ عليه منه، وهو قول الحسن البصري.

34

}وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ{

وقوله عز وجل: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ } . واختلف أهل التأويل في أمره الملائكة بالسجود لآدم، على قولين:

- أحدهما: أنه أمرهم بالسجود له تَكْرِمَةً وَتَعْظِيماً لشأنِهِ.
- والثاني: أَنَّهُ جعله قِبْلَةً لهم، فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم، وفيه ضرب من التعظيم.

وأصل السجود الخضوع والتطامن، قال الشاعر:

بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبَلْقُ في حُجُرَاتِهِ   تَرَى الأُكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوافِرِ

- وسمى سجود الصلاة سجوداً، لما فيه من الخضوع والتطامن، فسجد الملائكة لآدم طاعةً لأمر الله تعالى إلا إبليس أَبَى أن يسجُدَ له حَسَداً واستكباراً.

واختلفوا في إبليس، هل كان من الملائكة أم لا؟ على قولين:

- أحدهما: أنه كان من الملائكة، وهذا قول ابن عباس، وابن مسعود، وابن المسيب، وابن جريج، لأنه استثناء منهم، فَدَلَّ على دخوله منهم.
- والثاني: أنه ليس من الملائكة، وإنما هو أبو الجن، كما أن آدم أبو الإنس، وهذا قول الحسن وقتادة وابن زيد، ولا يمتنع جواز الاستثناء من غير جنسه، كما قال تعالى: { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ } [النساء: 157] وهذا استثناء منقطع.

واختُلِفَ في تَسْمِيتِهِ بإبليس على قولين:

- أحدهما: أنه اسم أعجمي وليس بمشتقٍّ.
- والثاني: أنه اسمُ اشتقاق، اشتُقَّ من الإبلاس وهو اليأس من الخَيْرِ، ومنه قوله تعالى: { فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ }[الأنعام: 44] أي آيِسُونَ من الخير، وقال العجَّاجُ:

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَساً   قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ، وَأَبْلَسَا

فأمَّا من ذهب إلى أن إبليس كان من الملائكة، فاختلفوا في قوله تعالى: { إِلاَّ إِبْلِيسَ كان مِنَ الْجِنِّ } [50 الكهف]

لِمَ سماه الله تعالى بهذا الاسم، على أربعة أقاويل:

- أحدها: أنهم حي من الملائكة يُسَمَّوْن جنّاً كانوا من أشدِّ الملائكة اجتهاداً، وهذا قول ابن عباس.
- والثاني: أنه جعل من الجنِّ، لأنه من خُزَّانِ الجنَّةِ، فاشتق اسمه منها، وهذا قول ابن مسعود.
- والثالث: أنه سمي بذلك لأنه جُنَّ عن طاعة ربِّه، وهذا قول ابن زيدٍ.
- والرابع: أن الجنِّ لكلِّ ما اجْتَنَّ فلم يظهر، حتى إنهم سَمَّوُا الملائكة جناً لاستتارهم، وهذا قول أبي إسحاق، وأنشد قول أعشى بني ثعلبة:

لَوْ كَانَ حَيٌّ خَالِد أَوْ مُعَمَّراً   لَكَانَ سُلَيْمَان البري مِنَ الدَّهْرِ
بَرَاهُ إلهي وَاصْطَفَاهُ عِبَادُهُ   وَمَلّكَهُ ما بَيْنَ ثُوبَا إلى مِصْرِ
وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلاَئِكِ تِسْعَةَ   قِيَاماً لَدَيْهِ يعْمَلُونَ بِلاَ أَجْرِ

فسمَّى الملائكة جناً لاستتارهم.

وفي قوله تعالى: { وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } ثلاثةُ أَقَاوِيلَ:
أحدها: أنه قد كان قبله قوم كفار، كان إبليس منهم.
والثاني: أن معناه: وصار من الكافرين.
والثالث: وهو قول الحسن: انه كان من الكافرين، وليس قبله كافرا، كما كان من الجنِّ، وليس قبله جِنٌّ، وكما تقول: كان آدم من الإنس، وليس قبله إنسيٌّ.

} وَقُلْنَا يَٰآدَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلْظَّالِمِينَ **}** * **{** فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ **{**

- قوله عز وجل: { وَقُلْنَا يا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ }.

إن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر بعد أن ألقى عليه النوم، ولذلك قيل للمرأة: ضلع أعوج.
وسُمِّيت امرأةً لأنها خُلِقَتْ مِنَ المرءِ، فأما تسميتها حواء، ففيه قولان:

- أحدهما: أنها سميت بذلك لأنها خلقت من حَيٍّ، وهذا قول ابن عباسٍ، وابن مسعود.
- والثاني: أنها سميت بذلك، لأنها أم كل حيٍّ.

واختُلِف في الوقت الذي خلقت فيه حواءُ على قولين:

- أحدهما: أن آدم أُدْخِلَ الجنَّةَ وَحْدَهُ، فَلَمَّا استوحش خُلِقَتْ حواءُ من ضِلْعِهِ بعد دخوله في الجنة، وهذا قول ابن عباسٍ، وابن مسعود.
- والثاني: أنها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة، ثم أُدْخِلا معاً إلى الجنةِ، لقوله تعالى: { وَقُلْنَا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } ، وهذا قول أبي إسحاق.

واختلف في الجَنَّةِ التي أُسْكِنَاهَا على قولين:

- أحدهما: أنها جنةُ الخُلد.

- والثاني: أنها جنةٌ أعدها الله لهما، والله أعلم.

قوله عز وجل: { وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا }.

في الرغدِ ثلاثةُ تأويلاتٍ:

- أحدها: أنه العيش الهني، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود، ومنه قول امرئ القيس:

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِماً يَأْمِنُ الأَحْدَاثَ في عَيْشٍ رَغَدْ

- والثاني: أنه العيش الواسع، وهذا قول أبي عبيدة.
- والثالث: أنه أراد الحلال الذي لا حساب فيه، وهو قول مجاهد

قوله عز وجل: { وَلاَ تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ }.
اختلف أهل التفسير في الشجرة التي نُهِيا عنها، على أربعةِ أقاويل:

- أحدها: أنها البُرُّ، وهذا قول ابن عباس.
- والثاني: أنها الكَرْمُ، وهذا قول السُّدِّيِّ، وجعدة بن هبيرة.
- والثالث: أنها التِّين، وهذا قول ابن جريج، ويحكيه عن بعض الصحابة.
- والرابع: أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة.

وفي قوله تعالى: { فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ } قولان:

- أحدهما: من المعتدين في أكل ما لم يُبَحْ لكما.
- والثاني: من الظالمين لأنفسكما في أكلكما.

واختلفُوا في معصية آدم بأكله من الشجرة، على أي وجهٍ وقعت منه، على أربعة أقاويل:

- أحدها: أنه أكل منها وهو ناسٍ للنهي لقولِهِ تعالى: { **ولقد عَهِدْنَا إلى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ** } [طه: 115] وزعم صاحب هذا القول، أن الأنبياء يلزمهم التحفظ والتيقُّظُ لكثرة معارفهم وعُلُوِّ منازلهم ما لا يلزم غيرهم، فيكون تشاغله عن تذكُّر النهي تضييعاً صار به عاصياً.
- والقول الثاني: أنه أكل منها وهو سكران فصار مؤاخذاً بما فعله في السُّكْرِ، وإن كان غير قاصدٍ له، كما يؤاخَذُ به لو كان صاحياً، وهو قول سعيد بن المسيب.

- والقول الثالث: أنه أكل منها عامداً عالماً بالنهي، وتأول قوله: }وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ]{ طه: 115] أي فَزَلَّ، ليكون العَمْدُ في معصيةٍ يستحق عليها الذمَّ.
- والرابع :أنه أكل منها على جهة التأويل، فصار عاصياً بإغفال الدليل، لأن الأنبياء لا يجوز أن تقع منهم الكبائر، ولقوله تعالى في إبليس: }فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ]{ الأعراف: 22] وهو ما صرفهما إليه من التأويل.

واختلف من قال بهذا في تأويله الذي استجاز به الأكل، على ثلاثةِ أقاويلَ:
- أحدها: أنه تأويل على جهةِ التنزيه دون التحريم.
- والثاني: أنه تأويل النهي عن عين الشجرة دون جنسها، وأنه إذا أكل من غيرها من الجنسِ لم يعصِ.
- والثالث: أن التأويل ما حكاه الله تعالى عن إبليس في قوله: }مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ]{ الأعراف: 23].

قوله عز وجل: { فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ.{
قرأ حمزة وحده: { فَأَزَالَهُمَا } بمعنى نحَّاهُما من قولك: زُلْتُ عن المكان، إذا تنحَّيْتَ عنه، وقرأ الباقون: { فَأَزَلَّهُمَا } بالتشديد بمعنى استزلَّهما من الزلل، وهو الخطأ، سمي زلَلاً لأنه زوال عن الحقِّ، وكذلك الزّلة زوال عن الحق، وأصله الزوال.
والشيطان الذي أزلهما هو إبليس.
واختلف المفسرون، هل خلص إليهما حتى باشرهما بالكلام وشافههما بالخطاب أم لا؟
فقال عبد الله بن عباس، ووهب بن منبه، وأكثر المفسرين أنه خلص إليهما، واستدلُّوا بقوله تعالى: }وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ]الأعراف: 21]
وقال محمد بن إسحاق: لم يخلص إليهما، وإنما أوقع الشهوة في أنفسهما، ووسوس لهما من غير مشاهدة، لقوله تعالى: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ]{ الأعراف: 20]، والأول أظهر وأشهر.
وقوله تعالى: { فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } يعني إبليس، سبب خروجهما، لأنه دعاهما إلى ما أوجب خروجهما.
قوله عزَّ وجلَّ: { وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ.{
الهُبوط بضم الهاء النزول، وبفتحها موضع النزول،
وقال المفضل: الهبوط الخروج من البلدة، وهو أيضاً دُخولها، فهو من الأضداد، وإذا كان الهبوط في الأصل هو النزول، كان الدخول إلى البلدة لسكناها نزولاً بها، فصار هُبوطاً.

واختلفوا في المأمور بالهبوط، على ثلاثة أقاويل:
- أحدها: أنه آدم، وحواء، وإبليس، والحيَّةُ، وهذا قول ابن عباس.
- والثاني: أنه آدم وذريته، وإبليس وذريته، وهذا قول مجاهد.
- والثالث: أنه آدم، وحواء، والمُوَسْوِسُ.

والعدو اسم يستعمل في الواحد، والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث، والعداوة مأخوذة من المجاوزة من قولك: لا يَعْدوَنَّكَ هذا الأمْرُ، أيْ لا يُجاوِزَنَّكَ، وعداهُ كذا، أي جازوه، فَسُمِّيَ عَدُوّاً لمجاوزةِ الحدِّ في مكروه صاحبه، ومنه العَدْوُ بالقَدَم لمجاوزة المشْيِ، وهذا إخبار لهم بالعداوة وتحذير لهم، وليس بأمر، لأن الله تعالى لا يأمر بالعداوة.

واخْتُلِفَ في الَّذينَ قِيلَ لهم: { بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عدُوٌّ } ، على قولين:

- أحدهما: أنهم الذين قيل هلم اهبطوا، على ما ذكرنا من اختلاف المفسرين فيه.
- والثاني: أنهم بنو آدم، وبنو إبليس، وهذا قول الحسن البصري.

قوله عز وجل: { وَلَكُمْ في الأرْضِ مُسْتَقَرٌّ } فيه تأويلان:

- أحدهما: أن المستقر من الأرض موضع مقامهم عليها، لقوله تعالى: { **جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ قَرَاراً** } [غافر: 64]، وهذا قول أبي العالية.
- والثاني: أنه موضع قبورهم منها، وهذا قول السُّدِّيِّ.

قوله عز وجلَّ: { وَمَتَاعٌ إلى حينٍ }:

والمتاع كل ما اسْتُمْتِعَ به من المنافع، ومنه سُمِّيَتْ متعة النكاح، ومنه قوله تعالى: { **فَمَتِّعُوهُنَّ** } [الأحزاب: 49]، أي ادفعوا إليْهِنَّ ما ينتفعْنَ به، قال الشاعر:

وَكُلُّ غَضَارَةٍ لَكَ من حَبِيب   لها بِكَ، أو لَهَوْتَ بِهِ، مَتَاعُ

والحين: الوقت البعيد، فـ " حِينئِذٍ " تبعيد قولِكَ: " الآن " ، وفي المراد بالحين في هذا الموضع ثلاثة أقاويل:

- أحدها: إلى الموت، وهو قول ابن عباس والسُّدِّيِّ.
- والثاني: إلى قيام الساعة، وهو قول مجاهد
- والثالث: إلى أجلٍ، وهو قول الربيع.

}فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ { 37 } * قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ{ 38 } * وَٱلَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَٰتِنَآ أُولَـٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ{ 39

قوله عز وجلَّ: { فَتَلَّقى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلَمَاتٍ فَتابَ عَلَيْهِ }:
أما " الكلام " فمأخوذ من التأثير، لأن له تأثيراً في النفس بما يدلُّ عليه من المعاني؛ ولذلك سُمِّيَ الجُرْحُ كَلْماً لتَأْثِيره في البدن، واللفظُ مشتق من قولك: لفظت الشيء، إذا أخْرجْتَهُ من قلبك.
واختُلِفَ في الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربِّه على ثلاثة أقاويل:

- أحدها: قوله: { **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ** }[الأعراف: 23] وهذا قول الحسن، وقتادة، وابن زيد.
- والثاني: قول آدم: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، ربِّ إني ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، إنِّي ظلمت نفسي، فتُب عليَّ، إنَّك أنت التوابُ الرحيم، وهذا قول مجاهد.
- والثالث: أن آدم قال لربِّه إذ عصاه: ربِّ أرأيت إن تبت وأصلحت؟ فقال ربُّه: إني راجعك إلى الجنَّةِ، وكانت هي الكلمات التي تلقاها من ربه، وهذا قول ابن عباسٍ.

قوله عز وجل: { فَتَابَ عَلَيْهِ } ، أي قبل توبته، والتوبةُ الرجوع، فهي من العبد رجوعه عن الذنب بالندم عليه، والإقلاع عنه، وهي من الله تعالى على عبده، رجوع له إلى ما كان عليه.
فإن قيل: فلِمَ قال: { فَتَابَ عَلَيْهِ } ، ولم يقُلْ: فتابَ علَيْهِما، والتوبة قد توجهت إليهما؟
قيل: عنه جوابان:

- أحدهما: لما ذكر آدم وحده بقوله: { فَتَلَّقى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ } ، ذكر بعده قبول توبته، ولم يذكر توبة حوَّاء وإن كانت مقبولة التوبة، لأنه لم يتقدم ذكرها.
- والثاني: أن الاثنين إذا كان معنى فعلهما واحداً، جاز أن يذكرَ أحدهما، ويكونَ المعنى لهما، كما قال تعالى: { **وَإِذَا رَأَوا تِجَارَةً أَوْ لَـهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا** }[الجمعة: 11] وكما قال عز وجل: { **وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ** } [التوبة: 62].

قوله تعالى: { إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } ، أي الكثيرُ القبولِ للتوبةِ، وعقَّبه بالرحمة، لئلا يخلِّيَ الله تعالى عباده من نِعَمِهِ.
وقال الحسن: لم يخلق الله تعالى آدم إلا للأرض، فلو لم يعص لخرج على غير تلك

الحال، وقال غيره: يجوز أن يكون خَلَقَهُ للأرض إن عَصَى، ولغيرها إن لم يعصِ.
ولم يُخْرِجِ اللهُ تعالى آدمَ من الجنة ويُهْبِطهُ على الأرض عقوبةً، لأمرين:

- أحدهما: أن ذنبه كان صغيراً.
- والثاني: أنه أُهْبِطَ بعد قبول توبته.

وإنما أُهْبِطَ لأحد أمرين: إِمَّا تأديباً، وإمَّا تغليظاً للمحنة.